مجلة الرائد

العدد : ٢٣٩ الموافق في رمضان ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١١ ميلادي

عنوان المقال : لا تحسبوه شراً لكم	الكاتب : د. صلاح ميهوب

لقد دأب أصحاب القرار في الغرب على تشويه الإسلام ، والطعن في نبيّه ﷺ ، وازدادت الحرب على الإسلام ضراوة مع احتكاك الغرب بالمسلمين في الأندلس ثم الحروب الصليبية ، والهدف الأعظم من وراء ذلك تحصين الغربيين ضد الإسلام ، وتنفيرهم منه ، والحيلولة بينهم وبين التعرف عليه .

وموقفهم هذا مطابق لموقف قريش القديم ، ونزل فيهم قوله تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ } [فصلت : ٢٦] ، وكانوا يُنفرون القادمين إلى مكة من السماع إلى محمد ﷺ ، ومثال ذلك :

– قصة الطفيل بن عمرو الدوسي : عندما قدم إلى مكة ، تلقوه وقالوا له : إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل به ، وإنما قوله كالسحر فلا تسمع له ، فوضع قطناً في أذنيه فَرَقاً أن يبلغه شيء مما يقوله محمد ﷺ ، وجاء موقفه مرةً قريباً من النبي ﷺ ، ويقول عن ذلك : فأبى اللّه إلا أن يُسمعني بعض قوله ، فسمعت كلاماً حسناً . وهنا تحركت في نفسه النخوة والإباء من أن يكون منقاداً على غير بصيرة ، فقال : واثُكل أمي ، إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسنُ من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع ما يقول . فسمع منه ﷺ فأسلم ، ولحق بالنبي ﷺ بالمدينة بعد أحدٍ ومعه سبعون أو ثمانون بيتاً من قومه .

وهكذا بنى الغرب بافتراءات بعض رجال الكنيسة ، وتضليلات المستشرقين ، وأكاذيب الإعلام سداً منيعاً وغشاه على آذان الأمريكان والأوروبيين فعاملوا الإسلام بخلاف معاملتهم لغيره من الأفكار والعقائد والأديان ، من حيث رفض التعرف والفهم والمناقشة ، ثم الاقتناع أو الرفض .

وفور الإعلان عن قارعة سبتمبر انطلقت الاتهامات للمسلمين والإساءة للإسلام كما هو معتاد ومتوقع ، وكان لذلك أثران :

الأول : أثر سلبي ، بالتحريض على الأقلية المسلمة في هذه البلاد ، وتعرضهم أفراداً ومؤسسات للهجوم والإيذاء ،

ووقع قليل من حالات القتل .

الثاني : أثر إيجابي ، تمثل في البحث في مصادر الإسلام عن أمرين :

الأمر الأول : ما هو هذا الدين الذي يُخرج أشخاصاً يختارون طريقة للموت – قد يكون في ظنهم أنهم ينتقمون من ظلم الغرب وأمريكا على رأسه لما سوى الجنس الأبيض المتقدم – وهذا الإعداد استغرق سنواتٍ من الوقت الذي يعيشون فيه في جنة الدنيا ؟

الأمر الثاني : هل الإسلام بتكوينه ومبادئه يحث على الكراهية وقتل الآخرين حباً في القتل ونهباً للثروات (كما فعل الأوائل في أمريكا مع الهنود الحمر !!) .

وهكذا أزيح السد الضخم والغشاوة الكثيفة التي حالت بين الغربيين ، والتعرف على الإسلام ، فبحثوا عنه في مصادره وعلى رأسها القرآن الكريم ، وعند رجاله ومؤسساته ، بعيداً عن تضليلات الكتّاب وأكاذيب الإعلام .

والغربيون جادون في بحثهم ، والإسلام يرحب بهذا ويدعو إليه ، ويحث على تفهمه والاقتناع به قبل تبنيه والتزامه ، ولا يهم المدخل الذي يدخل منه الباحث في القرآن والإسلام ، فكم من هؤلاء القوم وأمثالهم بحثوا في الإسلام لهدمه ، فغلبتهم هدايته .

وقد ساعد على ذلك ، وعلى تخفيف الاعتداءات على المسلمين ، ما ننقله عن الدكتور حسان حتحوت : « كان لتصريحات بوش [1] عن الإسلام أثر حاسم على سير الأمور هنا ، قد تُفسر أنها من باب السياسة والضحك على الذقون ،

(١) وغيره من زعماء أوروبا .

ولكن الناحية العملية المؤكدة ، أنه لولا ذلك لانطلقت قوى تستهدف اقتلاع شجرة الإسلام من أمريكا [٢] .

وكأن الناس قد احتاروا في أمر هذا الإسلام الذي يثنى عليه من ناحية رئيس الدولة ، بينما من الناحية الأخرى يلعنه ويطعن فيه الإعلام ، استولى على الناس شعور بحب الاستطلاع » [٣] .

ويرى الدكتور أنها فرصة للدعوة إلى الإسلام وتحدٍ للمسلمين ليرتفعوا إلى المستوى المناسب لتبليغ هؤلاء القوم ، الذين نرى فيمن دخل منهم الإسلام عن تفكيرٍ وتدبرٍ ، أنهم ممن يصدق عليهم قول النبي ﷺ « النَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقِهُوا » مسند الإمام أحمد .

وأكتفي في الإشارة إلى ما تحقق للإسلام من مكاسب يستحقها – بالرغم من خسائر ألمت بالمسلمين يستحقونها – أكتفي بما رصده مراد هوفمان حتى شهر كانون الثاني/يناير ٢٠٠٢م :

{ ما يدعو للسخرية أن الأحداث المروعة لسبتمبر قد قادت هكذا إلى تحسن دائم في وضع الجماعات المسلمة البروتوكولي }.

لم يعد كافياً للمسلمين أن يحترموا القانون ، والنظام للدول التي اتخذوها ملجأ أو ولدوا فيها ، إنهم مطالبون الآن من حيث المبدأ ، بأن ينأوا بأنفسهم بعيداً عن الشريعة في أي مجال يحتمل أن تختلف فيه مع القوانين المحلية ، كما لو أن الأقلية الإسلامية أصبحت أو اقتربت من أن تصبح أغلبية بيدها تغيير القانون ، ويجدر الانتباه إلى أن ما يشبه ذلك لم يُطالب به المسيحيون واليهود على الإطلاق

على ضوء هذا الخطر ، على المسلمين اللجوء إلى أحد أعظم فضائلهم – الصبر – ويستعدون للوقت الذي يرتفع فيه الوعي العام إلى فهم ما الذي يعينه الإسلام والمسلمون ، يُمثل ذلك توقعاً ، يرجع الفضل فيه بشكل كبير إلى أحداث ١١

(٢) راجع الحديث عن جند اللّه من أمثال إبليس وفرعون وأبي جهل .
(٣) من كتاب قارعة سبتمبر – ط. مكتبة الشروق الدولية – القاهرة .

سبتمبر لأن – وللسخرية مرة أخرى – تسبب " أسامة بن لادن " في أن تصبح جميع الكتابات عن الإسلام هي الأكثر مبيعاً بين ليلة وضحاها .

الطلب على ترجمات القرآن بعد ١١ سبتمبر ، ارتفع في ألمانيا بشكل درامي يصل إلى ١٠٠٠% في ألمانيا أيضاً ، فإن السلطات المحلية ، مثل مقاطعة بافاريا ، والتي كانت قد رفضت (بما يخالف القانون) السماح بفتح المدارس التي تتبعها أمام تدريس الديانة الإسلامية ، تقوم الآن بالمشاركة بنفسها في هذه المغامرة .

المستوى العام للمعلومات عن الإسلام عقب تداعيات الحادي عشر من سبتمبر قد ارتفع بشكل دائم في الغرب .

اعتاد المسلمون في الغرب على القول " إن الإسلام وُجِدَ هنا ليبقى " ، وقد اكتشف هذه الحقيقة لأول مرة ، الكثير من الناس غير المسلمين .

للإسلام الآن حضور مميز ومعترف به ، ويمكننا الانتظار حتى يتحول ذلك إلى حضور كامل الترحيب } [٤] .

ونظل في حديثنا مع قرآننا : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ } [الأنفال : ٣٦] ، : { يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } [التوبة : ٣٢-٣٣]

(٤) فقرات من كتاب " قارعة سبتمبر " ص (٥١-٦٧) .

مجلة الرائد

العدد : ٢٣٩ الموافق في رمضان ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١١ ميلادي

عنوان المقال : لا تحسبوه شراً لكم	الكاتب : د. صلاح ميهوب